# المقالة النزالية عند الأديب
# محمد السعيد الزاهري

أ . رابح فروجي
**جامعة سطيف**

المقالة النزالية لون من ألوان المقال الأدبي، تعالج ثورة المعارك الأدبية والفكرية بين الأدباء، وتعبر عن الصراعات المختلفة التي يعج بها المجتمع . وقد ساعد ظهور الصحافة في العصر الحديث على ظهور المقالة النزالية التي سارت في ثلاثة اتجاهات : الاتجاه الأدبي، والاتجاه السياسي، والاتجاه الاجتماعي .
وقد كان محمد السعيد الزاهري ـ الأديب الجزائري المعروف ـ أحد الكتاب الذين أسهموا في ظهور هذا اللون الأدبي في أدبنا الجزائري الحديث، لأسلوبه الجميل الذي اشتهر به، ولجرأته التي عرف بها . ولم يكن من السهل العثور على مقالات الزاهري النزالية، لصعوبة العثور على الدوريات التي نشر فيها كاتبنا مقالاته تلك، في العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي. ولكنني استطعت الوصول إلى تلك الدوريات، والاطلاع على تلك المقالات، فكانت هذه الدراسة .

Le situant dans le contexte de la liberté d'éxpression, l'avenement de la presse a contribué à la parution et au développement des éditoriaux inhérants aux confrontations diverses spirituelles et litteraires touchants aux domaines de la vie contemporaine et qui ont pris trois aspects: litteraire, politique et social .
Et l'écrivain algerien Mohamed said EZZAHIRI en fut l'un des pionniers de ce genre d'articles, riches en la matière et pour lesquels cet article à été édité tout en soulignant la rareté des éditoriaux en cause pour negligence des revues dans lequels ont été édités .

**مفهوم المقالة النزالية :**

هي لون من ألوان المقال الأدبي، تعالج ثورة المعارك الأدبية والفكرية بين الأدباء، وتعبر عن الصراعات المختلفة حول مختلف القضايا التي يعج بها المجتمع، واصطراع الآراء حول وجهة معينة [1] .

ومما ينبغي الالتفات إليه وعدم إغفاله، وهو أن المقالة النزالية تختلف عن المقالة النقدية في أن كاتبها ينتقل من الموضوع المعالج إلى صاحبه، فيتخذ من الموضوع مناسبة سانحة "لمنازلة" صاحبه . وقد ساعد ظهور الصحافة في العصر الحديث على انتعاش المقالة النزالية.

ويكفي للدلالة على ذلك أنها ظهرت بقوة في الصحافة العربية الحديثة، وسارت في ثلاثة اتجاهات : الاتجاه الأدبي، والاتجاه السياسي، والاتجاه الاجتماعي [2] .

**اتجاهات المقالة النزالية عند الزاهري * :**

وقد ظهر هذا اللون الأدبي في أدبنا الجزائري الحديث، بفضل ما كان ينشره الأدباء الجزائريون من مقالات في الصحافة الجزائرية والمغاربية والعربية . ومن أشهر هؤلاء الأدباء الأديب محمد السعيد الزاهري . وبالرجوع إلى مقالات الزاهري النزالية، فإننا نجدها قد سارت في إطار الاتجاهين، الأدبي والسياسي .

**1 ـ الاتجاه الأدبي :**

عالج الزاهري في هذا الاتجاه بعض القضايا الأدبية المثارة .. غير أن الملاحظ في تلك المعالجة، غلبة المواقف المسبقة للزاهري، فأصبحت العاطفة الشخصية هي سيدة الموقف، وهذه النزعة تتوافق ـ كما أشرنا آنفا ـ مع طبيعة المقالة النزالية . وللزاهري مقالتان أدبيتان نزاليتان، عالج فيهما مختلف القضايا الأدبية الفنية والفكرية . إلا أن هذه المعالجة لم تخل من "التهافت"، لأن المعالجة هنا "عاطفية" أكثر منها "موضوعية" .

ففي مقاله "تزييف رد" [3] تناول الزاهري بعض القضايا الأدبية الفنية بالمعالجة. وحتى نكون على دراية بمقالة الزاهري هذه، ينبغي أن نلم إلمامة موجزة بالمعركة الأدبية التي وقعت على صفحات الجرائد التونسية حول قصيدة كان قد ألقاها الشاعر أحمد سكيرج [4]، بمناسبة الاجتماع السنوي لجمعية أوقاف الحرمين الشريفين، الذي انعقد بالجزائر العاصمة سنة 1923، ومدح فيها أحد أعضاء اللجنة المغربية السيد خليل بوحاجب وزير القلم والاستشارة [5] . وفي تلك الفترة التي نشرت فيها جريدة الزهرة التونسية قصيدة أحمد سكيرج سمع أحد المتعاطفين مع الشاعر، نقدا للقصيدة في أوساط التونسيين وخاصة فيما يتعلق بوزنها، فكتب هذا "المتعاطف" الذي رمز لاسمه بـ "زيتون" مقالة عنونها "دمعة على العروض" [6] ، استاء فيها مما يتردد في الأندية الأدبية بتونس من أن قصيدة أحمد سكيرج، "ليست موزونة ولا جارية على القانون الشعري.." [7] . وردا على تلك التهمة يرى صاحب المقالة أن قصيدة أحمد سكيرج، "لا ينقصها شيء من علم العروض والقافية، جارية على أوزان العربية المتعارفة، ومن أبى فما عليه إلا أن يبسط القصيدة أو بعضا منها على محك التحليل العروضي الفني المدون ويبدي ما رآه مخالفا واضحا .. وبذلك يكون قد خدم الأدب وأعان عليه . أما مجرد اللغط دون حقيقة تجلى للعيان فإنه الداء العضال الذي أعيانا أمره واتسع خرقه" [8] .

وقد كان من المنتظر من الزيتوني أن يبسط هو قصيدة أحمد سكيرج على محك التحليل العروضي كما قال، ويبرهن لمن وصف تعليقاتهم (باللغط) بأن القصيدة قد صبت في

بحر من بحور الشعر العربي المعروفة، خاصة وأنها من الشعر العمودي وليست من الشعر الحر، ولكنه لم يفعل، وألقى بالتبعة على كل من يرى أن القصيدة غير موزونة أن يثبت عكس ذلك إن كان صادقا .. وتلك هي حجة الضعفاء العاجزين ! . ثم راح "الزيتوني" يستدر العطف على الشاعر أحمد سيكرج الذي "يتشوق إلى أهل تونس الموسومين باللطف وكرم الطباع" كما قال ، مستدلا على ذلك ببيت من الشعر ورد في ثنايا قصيدته السابقة، والذي يقول فيه :

من لي بأن تسمح الأيام في عمري  بأن تراكم بروض الأنس أحداقي

وقد أثارت مقالة الزيتوني أدبيا تونسيا، رمز لاسمه بحرف [هـ]، فكتب ردا عنيفا على (دمعة على العروض)، بعنوان : "تفنيد مزعم رد على زيتوني" [9]، تتبع فيه كل كلمة وكل فقرة وفكرة وردت في مقالة الزيتوني بالهدم والتزييف، مما أوقعه في بعض الشطط، الأمر الذي جعل محمد السعيد الزاهري، يكتب مقالته العنيفة "تزييف رد" التي أشرنا إليها قبل قليل، ردا على "تفنيذ مزعم أو رد على زيتوني" لصاحبها "هـ" .

وقد تمحورت مقالة الزاهري هذه حول قضيتين أساسيتين هما، الأسلوب والوزن .

أ ـ الأسلوب : فقد أخذ "هـ" على الزيتوني توظيفه لبعض الجمل التي هي أقرب إلى العامية منها إلى الفصحى، وقد ضرب "هـ" مثلا لذلك بقوله : "فأي امرئ لا يدرك بداهة أن مثل قوله (شوه بسمعة تونس) كلام جار على النمط العامي من جهة تركيبه ووضع كلماته، حيث أنه عدى شوه بحرف الجر وهو ما لا يقع في فصيح الكلام" . ولكن الزاهري أشار إلى أن الجار يجر أحيانا مفعول الفعل المتقدم لغرض بلاغي . "وقد ورد كثيرا في كتاب الله وفي الحديث الشريف وفي كلام البلغاء من العرب" كما قال .

غير أن الزاهري لم يخبرنا عما إذا كان الجر الذي أدخل على مفعول فعل جملة الزيتوني "يشوه بسمعة تونس" .. قد أدخل لغرض بلاغي ؟ .. وذلك ما لا نراه، لأن تركيبة هذه الجملة جار على النمط العامي كما بيّن "هـ" .. وقد كان بإمكان الزيتوني أن يستبدل هذه الجملة بجملة أخرى أبلغ وأفصح أو أن يحذف حرف الجر الذي أدخله على مفعول الفعل، دون أن يخل ذلك بالمعنى .

ب ـ الوزن : عالج الزاهري علاقة الوزن بالسواكن الزائدة أو الناقصة في القصيدة السابقة، من ناحية، والبحر الذي صبت فيه من ناحية أخرى . فأما عن الشق الأول، فيتعلق بما أخذه "هـ" على أحمد سكيرج من الإكثار من الحذف والزيادة للسواكن، المخلين بوزن قصيدته .. فقد كان من الجائز أن يعذر الشاعر، أي شاعر، حين يغلب عليه المعنى ويكون كما قال "هـ" "من المطابقة للحال في الذروة والسنام بحيث يذهب بشاعته تلك رواء المعنى وطلاوته . أما وقصيدة صاحبنا السيد سكيرج لم تحو من المعاني إلا ما هزل وسذج وجمد وبرد فلم يبق لها في النفس من

قبول ولا في الطبع من ميلان" .

ولم يستطع الزاهري أن ينكر سذاجة معاني قصيدة أحمد سكيرج وهذا واضح من خلال رده المتهافت على "هـ" الذي قال فيه : "وسواء سخط صاحب الرد أو لم يكن من الساخطين، فالحق والحق أقول، أن صاحبنا رمى القصيدة أول مرة بأنها ليست إلا كلاما منثورا وبعض أبياتها - على فرض أن لها أبياتا - فيه زيادة الحرف والحرفين، وفي بعضها النقص الذي لم يكن ليغفره علماء العروض" .. وكلام الزاهري هذا ليس فيه تبيان للحق الذي لوح به في البداية؛ لأنه لم يستطع أن يثبت عكس ما ذهب إليه "هـ" لأن قصيدة أحمد سكيرج ساذجة في معانيها من ناحية، كما أن صاحبها أكثر فيها من الحذف والزيادة المخلين بالوزن من ناحية أخرى [10]، وهذا - إن دل على شيء - فإنما يدل على أن سكيرج لم يكن من أمة الشعراء المتمرسين .. ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه !، وبالتالي فإن الوقوف في صف هذا اللون من القصائد يعتبر انحيازا غير موضوعي يسوق صاحبه إلى دائرة المعارك الأدبية التي تجد في العواطف الجامحة وقودا لها . وهذا ما توفره المقالة النزالية لصاحب هذا الموقف بامتياز ! .

وأما الشق الثاني، والذي يتعلق بالبحر الذي صبت فيه القصيدة فإن "هـ" قد رأى هذا البيت لسكيرج :

فيأخذ النغم التي توافقه ويستدل به في وزنه الجلل

قد صب صدره في بحر الرجز، والعجز من بحر البسيط .. ويعلق على ذلك بسخرية عجيبة قائلا : "الله الله ، شيء جميل، وجميل جدا" . غير أن الزاهري قد لاحظ أن البيت بصدره وعجزه من البحر البسيط، وهو كذلك، مما جعله يعلق على "هـ" الذي وقع في هذا الخطأ الذي اتخذه فرصة للتعبير عن موقفه العاطفي المسبق، بهذه الكلمات النارية : "ولكن أبى له الحمق وسفه النفس إلا أن يبين للناس أنه الجاهل بعلم العروض، وأنه لا يعرف منه إلا لفظة العروض، فأبدى مكانته من الفن للعيان في انتقاده على الشيخ سكيرج بيته .. إذ قال إن صدر البيت من بحر الرجز وعجزه من البسيط، وهل يجهل مثل هذه الجهالة إلا بسيط .. وعندي أن تلك حجة واضحة على جهله بفن العروض، يسمع بالرجز والبسيط والطويل والوافر ونحو ذلك ولا يدري لها من مسميات، ولدي على ما قلته برهانان : الأول لو ألم بالعروض أو ببعض العروض لعرض القصيدة السكيرجية ونقدها نقدا عروضيا .. والثاني قوله إن صدر البيت المتقدم من الرجز، ولم يقطعه على تفاعيله، ونحن نسأله أن يجري لنا هذا الصدر على أجزاء الرجز فلم نره إلا من البسيط" .

ثم يعلق الزاهري على الفقرة الأخيرة من كلام "هـ" بما يشبه اللكمات القاسية فيقول : "وإن تعجب فعجب قوله بعد ذلك (الله الله شيء جميل، وجميل جدا) ففي هذه الفقرة من التكسر والتخنث ما يتبرأ منه المتعففون" ! .

وللزاهري مقالة أدبية نزالية أخرى تناول فيها بعض القضايا الأدبية الفكرية . وقد عالج الزاهري تلك القضايا في مقالته "الدكتور طه حسين شعوبي ماكر" [11] .. ولا يخفى ما في هذا العنوان من نزعة "نزالية" واضحة !. فهل حقا أن الدكتور طه حسين شعوبي ؟ . ثم على أي أساس أقام الزاهري حكمه هذا ؟، وهل قرأ كتب طه حسين حقيقة ؟ . وإذا كان قد قرأها فهل اتسمت مناقشته للأفكار الواردة في تلك الكتب بالموضوعية ؟ أم أن للموقف العاطفي المسبق من طه حسين كان هو المنتصر .

فعن السؤالين الأولين اللذين أثرناهما في البداية، نلحظ في مقالة الزاهري هذه الفقرة التي نستشف منها الإجابة : "قرأنا في جريدة "النداء" البيروتية الغراء أن الأستاذ الدكتور طه حسين كتب في جريدة "كوكب الشرق" المصرية فصلا جاء فيه : "لقد خضع المصريون لضروب من البغي والعدوان جاءتهم من الفرس واليونان، وجاءتهم من العرب (كذا) والفرنسيين، وجاءتهم من الانجليز أخيرا" . فحشر الدكتور طه العرب في جملة الظالمين الذين ظلموا مصر، وحكموها بالبغي والعدوان .." .

ثم يعلق الزاهري على هذا الذي قرأه في جريدة النداء بقوله : "ولو كنا معشر العرب كما كان آباؤنا "أباة ضيم" نغضب للكرامة ولا نرضى بالهوان .. لعلمنا هؤلاء الشعوبيين كيف يقفون عند أقدارهم لا يتجاوزونها وكيف يحترموننا" . وواضح من حديث الزاهري أنه لم يقرأ نص حديث طه حسين، بل اكتفى بما قرأ من إشارة إليه .. وعلى هذا الأساس حكم على الدكتور طه حسين "بالشعوبية" ! .

وقد كان لزاما على الزاهري - لو لم ينطلق من موقف عاطفي مسبق - أن يرجع إلى نص حديث طه حسين كما ورد في "كوكب الشرق" حتى يكون حكمه قائما على أساس سليم، وإلا فمن أدرى الزاهري أن تكون جريدة "النداء " البيروتية قد أضافت من عندها إلى ما جاء في "كوكب الشرق" تلك الجزئية التي أثارته ؟ ! .

ومن الأسباب التي نراها قد غذت موقف الزاهري العاطفي من طه حسين، اطلاعه على بعض مؤلفات هذا الأخير، واتخاذه موقفا رافضا لما ورد فيها - كما سنرى بعد قليل - الأمر الذي جعله لا يثبت حتى يطلع بنفسه على نص حديث الدكتور طه حسين في شأن العرب . فمن تلك الكتب التي اطلع عليها الزاهري ونقد مضامينها الفكرية والأدبية : "في الشعر الجاهلي" و" قادة الفكر" و"المجمل في تاريخ الأدب العربي" و "في الصيف" .

فأما كتاب "في الشعر الجاهلي" فيقول عنه الزاهري بأنه "طعنة نجلاء في صميم العروبة لما هو تكذيب بآيات الله" . وأنه "طعن فيه على القرآن ونسب فيه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم التحيل ونحو ذلك" . ولقد أقام الزاهري حكمه هذا على بعض الفقرات المبثوثة في ثنايا الكتاب السابق، من ذلك قول الدكتور طه حسين : "فلأمر ما اقتنع الناس بأن

النبي يجب أن يكون صفوة بني هاشم، وأن يكون بنو هاشم صفوة بني عبد مناف .." [12] . ولكن طه حسين لم يبين ذلك الأمر، ثم ما المانع في أن يكون محمد صفوة بني هاشم، بل وصفوة الإنسانية طالما أن الله قد أرسله رحمة للعالمين ؟ .

وأما كتاب "قادة الفكر" للدكتور طه حسين فيقول فيه الزاهري : "ورسالة قادة الفكر إذا أنت قرأتها علمت كيف يتجاهل طه حسين العرب و يحذفهم جملة واحدة من قائمة المفكرين، و يهملهم إهمالا تاما كأن لم يكونوا قادة الفكر في الدنيا قرونا طوالا" .

والحق أن الدكتور طه حسين في كتابه "قادة الفكر" لم يشر - ولو من بعيد - إلى أي مفكر عربي، في الوقت الذي تحدث فيه وباسهاب عن هوميروس [13]، وعن سقراط وفلسفته [14]، وعن أفلاطون [15]، وأرسطاطليس [16]، والأسكندر [17]، ويوليوس قيصر [18] .

ويرى الزاهري بأن كتاب "المجمل في تاريخ الأدب العربي" الذي اشترك الدكتور طه حسين في تأليفه مع كتاب آخرين، ليس له "إلا نتيجة واحدة يحصل عليها الطالب عندما يفرغ من قراءته، وهي أنه لا قيمة لهذا الأدب العربي وليس هو شيئا مذكورا" . وقد استخلص الزاهري حكمه - الذي نتحفظ عليه - من بعض الفقرات المبثوثة في الكتاب .. والتي قد لا تحتمل هذا الذي ذهب إليه الزاهري . من ذلك قول طه حسين : "لا يذهب عنك أن حضارتنا الحديثة ليست قائمة في جميع نواحيها على الحضارة العربية القديمة، حتى نجري في أدبنا على سبيل العرب وننزع منازعهم في تصورنا للأشياء، وحكمنا عليها، وطريقة تصويرنا لها" [19] . فليس بالضرورة أن يكون طه حسين قد قصد من هذه الفقرة التنقيص من قيمة الأدب العربي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن طه حسين يلفت الأنظار في هذه الفقرة إلى أن الأدب العربي قد تأثر في العصر الحديث بالروافد الأجنبية التي أثرته بعناصر جديدة .. ومن ثم فإن نظرتنا إلى الأدب العربي الحديث ينبغي ألا تغفل هذا العامل .

وينتقل الزاهري للحديث عن كتاب "في الصيف" لطه حسين، فيرى أن هذا الأخير قد دعا في كتابه بصورة ملحة إلى تلاوة التوراة، "ودراستها وزعم أنها مورد عميق من موارد الأدب الرفيع، ولكنه لم يقل كلمة واحدة يدعو بها إلى تلاوة القرآن وإلى دراسته كمعجزة للفصاحة وسحر البيان" .

ومما لا ريب فيه أن الزاهري قد وقع هنا في مبالغة عاطفية غير مقبولة .. وذلك لأن طه حسين قد أشار في أكثر من موضع إلى قراءة القرآن في سياق دعوته إلى قراءة التوراة، والإنجيل [20] .. وليس كما قال الزاهري بأن طه حسين "لم يقل كلمة واحدة يدعو بها إلى تلاوة القرآن .." !! . ودعوة طه حسين إلى الإكثار من القراءة في التوراة والإنجيل والقرآن إنما تكون "على نفس النحو الذي يقرأ عليه في آيات البيان القديمة والحديثة، لا يبتغي إلا هذه الآيات من حيث هي آيات" [21] .. فهي دعوة إلى القراءة لذات القراءة، لا لمعرفة الحق الذي

ترمي إليه أو الالتزام بمقتضاه .. وهي نظرة لا شك أن الزاهري لا يقرها، لأنه يؤمن بالرسالة الهادفة للأدب، خاصة إذا علمنا بأنه ينتمي إلى المدرسة الإصلاحية التي ظهرت في عشرينيات القرن الماضي بالجزائر .

غير أن دعوة الدكتور طه حسين إلى مدارسة التوراة قد تكررت في كتابه "في الصيف" في مواضع كثيرة [22]، وذلك ما عدّه الزاهري كما قال : "دعاية كبرى إلى التوراة، وإلى تلاوتها ودراستها" . ورغم أن طه حسين أراد بدعوته إلى قراءة التوراة أن يشعر الدارس لها بلذة أو متعة وجمال [23]، فإن هناك جملة من المحاذير التي ينبغي على الأديب العربي أن يحتاط من الوقوع فيها وهو يقرأ التوراة من أجل التذوق الفني كما ذهب إلى ذلك طه حسين، وعلى رأس تلك المحاذير .. التأثر بالتصور التوراتي للكون والحياة والإنسان والذي وقع فيه بعض الشعراء العرب المعاصرين باسم إثراء الأدب العربي، وقد كشف الناقد محمد الأسعد النقاب عن هذا المحذور في مقالته النقدية الطويلة والموسومة بـ "التصور التوراتي يخترق الشعر العربي المعاصر" [24] .

ولم يتوقف الزاهري في مناقشته لطه حسين عند الموقف الفكري، بل تعداه إلى الجوانب الفنية في أعماله الأدبية، حيث اعترف له بامتلاك الأدوات الفنية وقدرته على التأثير في النفوس، ولكن هذا الاعتراف جاء في سياق الإدانة لطه حسين، وفي ذلك يقول : "لقد أوتي طه حسين كل وسيلة من وسائل الفتنة والإغواء، فأسلوبه سهل جذاب، وموضوعاته التي يكتب فيها هي الحب والهوى مما يشوق الشباب ويستهويه، وهو يدخل على الشبان لا من باب العقل والإدراك ولكن من باب العواطف والشهوات، يقودهم من أهوائهم وشهواتهم إلى حيث يريد لهم الهلاك والردى، إلى حيث يسلبهم دينهم وإيمانهم ويستل منهم النخوة والاعتزاز بالعروبة" .

ولسنا ندري أي كتابات طه حسين التي يقود فيها الشاب من شهواتهم وأهوائهم ويدخل فيها عليهم من باب العاطفة وحدها .. كما أنه ليس صحيحا أن موضوعاته هي الحب والهوى !! .

إن طريقة مناقشة الزاهري لأفكار طه حسين فيها الكثير من التحامل الذي يغرف من الموقف العاطفي المسبق للكاتب .. وهو الموقف الذي يميز المقالة النزالية على أية حال، كما لا تخفى على اللبيب المطلع منطلقات الزاهري التي غذت موقفه ذاك .. ومن أهم تلك المنطلقات ما يلي :

- ولاء الأديب الزاهري للتيار المحافظ في أدبنا العربي الحديث .
- حبه لمصطفى صادق الرافعي بصفة خاصة .
- ثم ما كان بين هذا الأخير وبين طه حسين من معارك أدبية .

وقد لاحظ محمد مصايف طريقة الزاهري تلك في مناقشة بعض ما ذهب إليه طه حسين فقال عن ذلك : "وتحامل الزاهري وسطحيته في هذه المناقشة لا يحتاجان إلى دليل، فهو مدفوع بنزعته الإصلاحية، وبموقفه من النهضة الأدبية عموما، إلى أن يقف هذا الموقف ضد التجديد" [25] .

2 ـ الاتجاه السياسي :

يمكن تصنيف مقالات الزاهري النزالية في هذا الاتجاه إلى قسمين، قسم تناول فيه ما تعرضت له الجزائر وشعبها من تحامل، وقسم آخر تناول فيه بعض ما تعرضت له الصحف العربية بالجزائر عامة، وجريدة "البرق" منها خاصة، من هجوم بعض النواب الجزائريين المتجنسين بالجنسية الفرنسية .

فمما لاقته الجزائر من تحامل من غير أبنائها، ما ذهب إليه أحد التونسيين الذي رمز لاسمه بـ "شهاب" من اتهام الجزائر بالتقرنس والانسلاخ "من أخلاقها ولغتها حتى أصبحت خلقة غريبة شوهاء" [26] . و"أن لغتها مالطية جديدة" [27] .

ورد عليه الزاهري بمقال عنوانه "أنصل وهم يقطعون؟" [28]، فند فيه مقولة ذلك التونسي وبأسلوب عنيف .. يقول : "أرأيت هذا الفاقد للتربية، وهذا الرقيق دينه، القليل حياؤه، يكتب بكل قحة لـ [كذا] في صحيفة تتصف بالوطنية فيما زعمت، هذا السباب الذي يجر إليه اللعن من كل جزائري بل ومن كل مسلم ومن كل عاقل اطلع على هذه العجرفة التي أملاها عليه السفه ومهانة النفس، اجترح هذه السيئة وما له فيما يظهر من ورائها شيء يريد أن يناله إلا أن يكون تنقيص الجزائريين الصادقين في الإخاء للأمة التونسية" [29] .

ثم يستطرد الزاهري في الرد على تهم شهاب السابقة، ردا مقنعا بقوله : "ولكن أرد عليه ما قاله عن الجزائر بغير حق، ذلك بأن حالة الجزائر في عوائدها وأخلاقها وديانتها ولغتها لا تزال إلى اليوم باقية .. أما العواطف الدينية فقد قويت، ثم في نفوس القوم قوة لم تقوها من قبل لأنهم يرون كل ما يلاقونه من جفاء الاحتلال ناشئا عن عداوة دينية" [30] .

ويواصل الزاهري تفنيد ما ذهب إليه شهاب فيقول : "لا تجد في الجزائر مكتبا فرنساويا لتعليم البنات المسلمات، فليس ولله الحمد من بين الفتيات الجزائريات فتاة متفرنسة، فهن وإن كن جاهلات فلم يزلن على فطرة الله التي فطرهن الله عليها، ولا تجد أيضا امرأة جزائرية في مسرح التمثيل ولا في متفرج عام" [31] . "ومنها أن الناس بالجزائر يرون اللباس المحدد من أمارات الخروج عن القومية فلا يلبسه عندهم إلا تلامذة المدارس الدولية الفرنسوية (الليسيات) مع محافظتهم على الطربوش الجزائري .. ولو شاهدت عادات الجزائريين في ديارهم لرأيت ثم المدينة الإسلامية الأندلسية، فلم يزالوا إلى يومنا هذا يأكلون المآكل مجتمعين

غير فرادى .. إلا أنهم لا يختلط الرجال في الأكل بالنساء، فإن كانوا زوجين لهما أولاد فالرجال معه بنوه ومع المرأة بناتها وتلك عادة غير عادة المتفرنسين .. وحتى التراكيب اللغوية باقية في هذا العقب المبارك، وكذلك المفردات العربية عند كثير من الناس، وهي عند عامة الجزائر مبذولة تسمعهم يقولون رمح الفرس إذا تعسف الطريق، ونطف الجرح وقرم فلان إذ اشتهى اللحم وقضى إذا مات .. ورمضت الأرنب إذا لم تستطع الجري من شدة الحر .. وغير ذلك من مفردات لا يكاد يحاط بها حصرا .." . "وعزيز عليك أن تسمع بالبوادي الجزائرية كلمة دخيلة فيما يتخاطبون، ويمنعني ضيق المجال من ذكر جملة من أخلاقهم وعاداتهم صالحة لأن يحكم بها الحكم على القوم بأنهم مرآة تتمثل فيها العرب الأولى، وإن كان شهاب .. قال (أن لغتها أصبحت مالطية جديدة) فهذا القول ينم على التشفي، ونحن لا يسعنا إلا أن نكل هذا القول إلى أرباب النظر وأصحاب العقل من التونسيين وغيرهم يحكمون فيه بين الأمة الجزائرية وبين هذا المتكالب الكاذب فيما قال عنها" [32] .

وأما الجانب الثاني في مقالات الزاهري النزالية السياسية، فيتمثل في ذلك الهجوم الذي قاده الدكتور ابن التهامي المتجنس على جريدة "البرق" لصاحبهاالأديب الزاهري خاصة، والصحافة العربية بالجزائر عامة .. وكان من آثار تلك المعركة توقف جريدة "البرق" [33]. وبعد أن أخذ ابن التهامي يثير حفيظة الحكومة الفرنسية على "البرق" كتب الزاهري مقالا عنيفا عنوانه "الدكتور ابن التهامي" [34] راح يفضح فيه هذا الأخير .. يقول الزاهري : "حقا إن الدكتور بن التهامي قد اتخذ لنفسه وجها من وجوه الاكتساب وبابا من أبواب الارتزاق لم يعرفه غيره، ذلك بأنه يخاصم الناس بغير حق ويظلمهم في الخصومة ويثير غضبهم بمس أعراضهم والتعدي على حرماتهم الشخصية، فمن أخذ منهم بثأره وانتصر لنفسه ودافع عن شرفه طلب منه الدكتور "بن تامي" [35] لدى المحكمة ارش عرضه (دوماج آنتيري)، وهذا هو ما دعا الدكتور إلى الهجوم على جريدة "البرق" ظلما وعدوانا، وغرضه أن يجر البرق إلى المخاصمة لدى المحكمة رجاء أن يحكم له علينا بـ (دوماج) يقدر بالآلاف المؤلفة من الفرنكات . وأحسب أن كيسه لا يسع ما سيأخذه منا من أرش و"دوماج" فليوسع الدكتور كيسه وليهيء من الآن البنك الذي سيضع فيه ما سندفعه إليه من أرش وغرامة، فإننا مؤاخذوه لا محالة، ولسنا بتاركيه بحال من الأحوال . نشرنا في العدد السادس من هذه الجريدة الحرة مراسلة لمكاتبنا السياسي الخاص بالعاصمة عن انتخاب 10 من أفريل الماضي، ذكر فيها المكاتب عقليته ورأيه في انتخاب ذلك العضو البلدي، وذكر المترشحين، وذكر لكل واحد منهم ما يميزه عن سواه، فقال عن الدكتور (بن تامي) أنه يدعو الناس إلى التجنس، وذلك ما لا يرضونه بحال، ولهذا فإني لا أظنه ينجح في هذا الانتخاب" .

ثم أخذ الزاهري يكشف حقيقة الدكتور ابن التهامي ونشاطه المنافي لمصالح الوطن، مثل دعوة "الناس إلى التجنس وذلك ما لا يرضونه بحال"، وجمع أموال الشعب وإنفاقها على المحتاجين من غير الجزائريين، وكذا تهجمه على الصحافة وبلا حياء . ويعلق الزاهري على تصرفات ابن التهامي تلك بقوله : "عجيب من الدكتور بن التهامي أن يدعي أنه يسعى في

مصلحة المسلمين وقد خرج منهم ومرق من جماعتهم وتجنس بجنس غير جنسهم وبدين غير دين الإسلام ؟" .

ثم يشير الزاهري إلى السبب الحقيقي الذي دعا ابن التهامي إلى التجنس، وهو أنه أراد بذلك أن يبين "للمسلمين أنه يستقذرهم ويحتقرهم، فلا يحب لنفسه أن يبقى كأحدهم . وبخروجه من جماعة المسلمين ورفضه للجنسية الجزائرية، يبين لنا أنه ساخط على أبيه الذي ولده جزائريا مسلما، فلا يريد هو الآخر أن يلد أولاده مسلمين جزائريين، وأية جنسية جزائرية تبقى وأي إسلام يبقى لأولاد أمهم غير جزائرية وغير مسلمة، وأبوهم خرج من الجنسية الجزائرية وخرج من الإسلام" .

وبعد أن توقفت جريدة "البرق" للزاهري عن الصدور، كتب هذا الأخير مقالا نزاليا كشف فيه وسيلة الوشاية التي توسل بها ابن التهامي لدى السلطات الفرنسية حتى تدخلت في إيقاف "البرق" . وفي مقالته هذه "هل حوكم "البرق" ؟ [36] يكشف الزاهري - بأسلوبه الذي لم يخل من السخرية - عن الخلفية الحقيقية التي استند إليها ابن التهامي لدى السلطات الاستعمارية الفرنسية، مما جعلها تتدخل وتوقف "البرق " فيقول : "في أواسط شهر جولية الماضي قدم الدكتور ابن التهامي إلى وكيل الحق العام بالعاصمة جميع المقالات التي نشرها البرق في انتقاد أعمال الدكتور السياسية .. فترجمت تلك المقالات ترجمة رسمية عسى أن يكون فيها شيء من القذف الشخصي يبيح للدكتور أن يرفع قضية ضد البرق، ولكن وكالة الحق العام لم تجد في كل تلك الانتقادات شيئا يخول للدكتور أن يرفع قضية ضد الرحموني المدير المشرف على تحرير البرق .. ولما فشلت مساعي الدكتور في جر البرق إلى المحاكمة، وفي الحكم عليه بالارش والغرامة، ورأى أنه لابد من القضاء على البرق، لجأ في ذلك إلى وسيلة هي - وآسفاه - وسيلة رذيلة تمكن بها (فيما يقول) من إبطال (البرق) وليس يعجز في القضاء على البرق أو على غيره بمثل هذه الوسيلة كل إنسان لا شرف له ولا كرامة، تلك هي وسيلة الوشاية والنميمة ! .. فقد صرّح الدكتور لأصدقائه وهو يفخر في "النادي الإسلامي" بمدينة فيشى أيام كان بفرنسا بأنه هو ومسيو مورينو قد بذلا مساعي كبيرة لدى وزارة الداخلية لتعطيل جريدة البرق خصوصا ولشد الخناق على بقية صحف الجزائر العربية عموما، وصرح بأنهما قد نجحا في إبطال البرق .. وقد صرح الدكتور مفتخرا أيضا بهذا لكثير من الناس بعدما رجع من باريس، ولم يكد يجتمع بأحد إلا أخبره بأنه هو الذي قضى على البرق ليخافه الناس، وليعلموا أنه على كل شيء قدير" [37] .

## هوامش :

1 . ينظر: عبد القادر رزق الطويل، المقالة في أدب العقاد، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1987 ص 188.

2 . ينظر: عبد العزيز شرف، فن المقال الصحفي في أدب طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 280 .

❖ كاتب وشاعر جزائري ( 1901 . 1956) .

3 . انظر جريدة (النهضة) التونسية، ع 31 س 1 (1923/11/01) وع 36 (1923/11/06)، وع 38 (1923/11/08) و ع 41 (1923/11/11) و ع 49 (1923/11/19) .

4 . جريدة (الزهرة) التونسية، ع 3773 س 35 (1923/06/21).. والقصيدة بلا عنوان !.

5 . المرجع السابق .

6 . جريدة (الزهرة) التونسية، ع 4792، س 35 (1923/07/15) .

7 . المصدر السابق .

8 . جريدة (الأمة) التونسية . ع 42 س 3 (1923/07/18) .

9 . جريدة (الأمة) التونسية، ع42،س3(1923/07/18) .

10 . مما ورد في قصيدة ( أحمد سكيرج ) قوله :

أطلتم في الـــنوى حبال أشواقي  والله يعلم ما قلبي بكـــم لاق
وقدتـــموه كما وقدتموه لـــظى  وجد حللت بـــها مـنحل أطواق
فضقت ذرعا بما قد ذقت من حرق  عدمت صبرا بها قد كان لي واق
يا أهـل ودي بـتونس وجـيـرتها  متى تـنـوسي عهد عندنا باق
ونحن في كل حيـــن ذاكرين لكم  فضائـــل وكمال حسن أخلاق
لله دركـــم من سادة لـــهم  معـــارف انتشرت في كل الآفاق
وكان منبعها صدر المشائخ من  تعنو لذكـر اسمه العـلا بإطراق

11 . المقال منشور بجريدة (الصراط) الجزائرية، ع4س 1 (1933/10/09) .

12 . طه حسين، في الشعر الجاهلي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ( 1344هـ 1926 م) ، ص 72 .

13 . طه حسين ، قادة الفكر، دار المعارف . مصر (د ت) ص 05 . 22 .

14 . المرجع نفسه، ص : 24 . 34

15 . المرجع نفسه، ص : 72 . 119 .

16 . المرجع نفسه، ص : 121 . 140 .

17 . المرجع نفسه، ص : 142 . 155 .

18 . المرجع نفسه، ص : 157 . 167 .

19 . طه حسين وآخرون، المجمل في تاريخ الأدب العربي، المطبعة الأميرية، القاهرة . 1930 ، ص 180 .

20 . ينظر : طه حسين، في الصيف، مطبعة الهلال، القاهرة، 1933 . ص 8 . 9 .

21 . طه حسين، المرجع السابق، ص : 10 .

22 . انظر طه حسين في الصيف ، ص: 8 و ص : 17، ص : 38، ص : 39 .

23 . طه حسين . المرجع السابق، ص : 8 .

24 . ينظر : المقالة في جريدة " القبس" الكويتية، ع 4596، الخميس (1985/02/28) .

25 . محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر. 1984، ص 25 .

26 . 27 . عنوان المقال "مؤتمر الرباط"، مذيل بإمضاء (شهاب) .. ولم يشر الزاهري إلى الصحيفة التي نشرته، ينظر: محمد السعيد الزاهري "أنصل وهم يقطعون؟ . جريدة النهضة التونسية، ع207، السنة الأولى، (1924/04/25) .

28 . المقال نشر في حلقتين بجريدة النهضة، ع207، (1924/04/25) وع 8(1924/04/26) .

29 . "أنصل وهم يقطعون ؟" . جريدة النهضة . ع 207 .

30 . 31 . المرجع نفسه .

32 . "أنصل وهم يقطعون ؟" . جريدة النهضة، ع 208 .

33 . وقد استجابت الحكومة الاستعمارية لرغبة ابن التهامي وأصدرت قرارا بتوقيف البرق في سبتمبر 1927. انظر مجلة "الشهاب"، ع 122، (1927/11/17) . وانظر: محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939 . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر. 1980 . ص 85 .

34 . ينظر جريدة البرق، ع18. س1، (1927/07/11) .

35 . ينظر مثلا : La Presse Libre N° : 64, Première Année 16/11/1927

36 . ينظر مجلة "الشهاب" ع 122، س3، (1927/11/17) .

37 . هل حوكم البرق ؟ . مجلة "الشهاب" ع 122، س3،(1927/11/17) .